الأهرام

المصدر : الاحرار

التاريخ : ١ يونيو ٢٠٠٠

الحرب الاثيوبية- الاريتريه

نزاع حدود أم تأكيد لصراع ممتد؟

تشير الابحاث التى تشهدها منطقة القرن الافريقى الى استمرار سلسلة الانشقاقات والخلافات التى عانت منها دول المنطقة داخليا واقليميا عبر تاريخها، الامر الذى جعل التنافس والصراع هما السمة الغالبة على شبكة العلاقات الداخلية والاقليمية لدول هذه المنطقة، يعبر عن ذلك اختلاف الهويات الثقافية الوطنية الرسمية لهذه الدول ما بين العروبة والاتجلوفونية والفرانكفونية والصومالية والامهرية والتيجرينية.. واقتصارا على دولتى الصراع نجد ان اريتريا مازالت تراوح مكانها فيما يتعلق بتحديد هويتها من حيث صعوبة تحديد تلك الهوية فى ظل الميراث التاريخى للحركة الوطنية حيث صعوبة تحديد تلك الهوية فى ظل الميراث التاريخى للحركة الوطنية الاريترية والتركيب الاثنى والدينى بها وذلك انها على الرغم من الدور التاريخي للمسلمين فى الحركة الوطنية الايترية فان مخاوف المسيحيين من هيمنة المسلمين على قيادة الحركة الوطنية ادت الى تصاعد اسهم القيادات العلمانية فى الحركة الوطنية سعيا للحد من الانشقاقات والصراعات التى نشبت بين فصائل الحركة الوطنية الاريترية، ورغم نجاح الحركة الوطنية فى حجب تلك الصراعات فانه سرعان ما عادت تلك الهويات للبروز من جديد خاصة مع بروز التوجه التجرامى، نسبة الى اقليم وجماعة التجارى الذى تنتمى اليه القيادة فى اريتريا للنخبة المالكة فى اريتريا التى انحازت للقومية التجرانية على حساب غيرها من القوميات، الامر الذى اثار حفيظة القوميات والجماعات الاخرى خاصة ذوى التوجهات العربية والاسلامية لاسيما مع تراجع التوجهات العربية للحكومة القائمة فى اريتريا.

اما اثيوبيا فقد ظلت تصنف نفسها حتى منتصف الخمسينيات على انها دولة شرق اوسطية الا انه مع تزايد موجة استقلال وتحرر الدول الافريقية اخذت اثيوبيا تعلى من هويتها الافريقية وعلى الرغم من ذلك ظلت السمة الغالبة هى هيمنة جماعة الامهرية على السلطة والحكم حتى مطلع التسعينيات حينما حلت القومية التيجرانية محل الامهرية فى السلطة، وعلى الرغم من موجة التفاؤل التى صاحبت ذلك التغيير فانه سرعان ما تبددت تلك التوقعات والامال مع تصاعد التوترات الداخلية بين القوميات المكونة للمجتمع الاثيوبى وفى مقدمتهم قومية الاورومو والقومية الصومالية بالاوجادية وكذلك القومية الامهرية لعدم رضائها للتراجع النسبى لمكانتها فى المجتمع.

وما يقال عن الصراعات الداخلية فى اثيوبيا واريتريا يقال كذلك عن كل من السودان وجيبوتى وتلاشت تحت وطأتها الصومال، من ناحية اخرى فان دول المنطقة تعانى فى معظمها من مشكلات الحدود والتداخل الاثنى حيث لا تخلو حدود اى من دول المنطقة من مطالبات باحقية هذا الطرف او ذاك فى اراض تابعة للطرف الاخر على اسس تاريخية او قومية او اثنية.

يساعد على ذلك وفاقمه اختلاف توجهات انظمة الحكم وممارساتها الداخلية بين دول المنطقة، الامر الذى جعل من منطقة القرن الافريقى ساحة للتوتر والحروب، علاوة على ما شهدت من أن الى اخر من كوارث طبيعية كالجفاف والتصحر والمجاعات، الامر الذى يلقى بظلاله الكثيفة من الشك حول مستقبل المنطقة كلها فى ظل تلك الظروف وهذه السياسات والصراعات التى تستنزف الموارد فى اتون الصراعات الداخلية والحروب البينية التى تحد من امكانيات التعاون والتنمية بها.

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الاريترية قد خلفت ميراثا من المرارة والكراهية فى نفوس الاريتريين على مدى ثلاثين عاما تجاه اثيوبيا، ولعل من الامور ذات الدلالة فى هذا المقام ان اسم العملة الاريترية «نقفه» مستمدة من اسم بلدة شهدت معركة حاسمة بين القوات الاثيوبية وقوات حركة التحرير الشعبية الاريترية عام ١٩٨٨م وانتصرت فيها قوات الحركة، وفى ظل ذلك المناخ العدائى فانه يسهل تفسير اقل بادرة من هذا الطرف او ذاك بانها محاولة للهيمنة او الاعتداء.

طموح القيادة

وعلى صعيد طموحات القيادات نجد ان كلا من اثيوبيا واريتريا قد حرص على تقديم نفسه كفاعل اقليمى حيوى بالمنطقة يجب الاعتماد عليه فيما يتصل باى من الترتيبات المزمع اتخاذها، واستندت اثيوبيا فى ذلك على ميراثها من العلاقات الخارجية الدولية والاقليمية وتراثها التاريخى الحضارى كواحدة من اقدم واعرق دول القارة اضافة الى ثقلها البشرى واتساعها الجغرافى، وفى المقابل طرحت اريتريا نفسها كفاعل اقليمى يجب الاعتداد به انطلاقا من موقعها الاستراتيجى وقدراتها العسكرية والتنظيمية حيث يذكر ان الجيش الاريترى يعد اكثر جيوش المنطقة كفاءة وتنظيما فى ظل خبرة الكفاح الوطنى الطويلة التى خاضها، علاوة على ذلك عمدت اريتريا الى اقامة شبكة من العلاقات الخارجية التى تؤمن لها الحصول على ذلك الدور الاقليمى، فلم تنضم لجامعة الدول العربية ودشنت علاقات متميزة مع اسرائيل وحاولت اقامة توازن فى علاقتها بين الجانبين العربى والاسرائيلى وهو امر لم يكن بحال يقبل التوازن لطبيعة الصراع العربى- الاسرائيلى واطرافه من ناحية وطبيعة دولة اريتريا ارضا وشعبا واهميتها الاستراتيجية من ناحية اخرى.

وهكذا ادى تنافس الطرفين على القيام بدور الفاعل الاقليمى وتأكيد وجوده وفاعليته الى محاولة كل طرف تعزيز قدراته على حساب الطرف الاخر، حيث اقدمت اريتريا على اصدار عملتها النقدية الخاصة وفك الارتباط بينها وبين «البر» عملة اثيوبيا ومطالبة اثيوبيا بدفع رسوم الشحن عبر موانىء اريتريا بالعملة الصعبة، وفى المقابل قامت اثيوبيا بتحويل جانب من صادراتها ووارداتها الى موانىء جيبوتى، وامتنعت فى ذات الوقت من امداد اريتريا بحاجتها من بعض الحبوب الغذائية الا بعد دفع قيمتها بالعملة الاجنبية.

وفى ضوء ما سبق يمكن القول: ان الصراع الحدودى بين اثيوبيا واريتريا كان بمثابة الحمم الدالة على بركان العلاقات بين الجانبين فى ظل سعى كل منهما تأكيد وجوده فى مواجهة التغييرات الاقليمية والدولية.

من المعروف ان اى دولة عند دخولها فى صراع معين فانها تستخدم كافة امكانياتها وقدراتها لحسم الصراع لصالحها، الا ان المراقب للصراع الاثيوبى- الاريترى يلحظ بوضوح نمطين مختلفين من انماط ادارة الصراع من حيث مكونات استراتيجية ادارة الصراع فعلى حين ركزت اريتريا ثقلها الاساسى فى ادارة حملة اعلامية اقليمية ودولية لحشد التأييد الدولى والاقليمى لموقفها من الصراع فقد توالت منذ اللحظة الاولى البيانات والتصريحات الصادرة عن قيادة الدولة واجهزتها المختلفة شارحة موقف اريتريا من النزاع ومؤكدة على شرعية ذلك الموقف ومطالبة بوقف الاعتداءات الاثيوبية واجبارها على وقف اطلاق النار وقبول التسوية السلمية للصراع انطلاقا من مبدأ الاقرار بالحدود الموروثة من الاستعمار الذي تري اريتريا أن اثيوبيا قد خرقته بادعائها تبعية اراض اريترية لها ومحاولة فرض ذلك كأمر واقع.

وعلى الجانب الاخر، لوحظ ان الموقف الاثيوبى عبر مراحل الصراع اتسم بالغموض والمماطلة والتسويف فيما يتعلق

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

اليهما ودعمه لقوى المعارضة بالدولتين.

علاوة على ما سبق جاء نشوب الحرب بين اثيوبيا واريتريا فى اعقاب الزيارة الفريدة التى قام بها الرئيس الامريكى بيل كلينتون فى مارس ١٩٩٨ للقارة واجتماعه مع رؤساء دول وحكومات شرق ووسط وجنوب القارة، وهى الزيارة التى استهدفت من بين ما استهدفت ترتيب الاوضاع فى منطقة شرق افريقيا وتوزيع الادوار على اللاعبين الاساسيين وفى مقدمتهم اثيوبيا واريتريا ولذا مثلت الحرب الحدودية بين هاتين الدولتين خروجا على مقررات السياسة الامريكية بالمنطقة ودفعت للتساؤل عن اسباب الحرب، والواقع انه بعيدا عن الحجج القانونية التى طرحها الجانبان للدلالة على احقية كل منهما بالمناطق موضع النزاع، فان الشاهد ان الميراث التاريخى للعلاقات بين البلدين والطموحات الاتية للقيادات قد لعبا دورا حيويا فى تأجيج الصراع واستمراره ثم انفجاره على النحو الذى شهدته المنطقة.

فالميراث التاريخى للعلاقات الاريترية- الاثيوبية هو فى جوهره ميراث صراعى عدائى، وحتى بعد استقلال اريتريا ظل هناك تيار اثيوبى ينادى بضرورة اعادة ضم اريتريا الى اثيوبيا واعتبر ذلك الفريق ان الموافقة على استقلال اريتريا كان خطأ فادحا لحرمانه اثيوبيا من اى منفذ على البحر الاحمر رغم ضخامتها المساحية وكثافتها السكانية، فى حين تتمتع اريتريا التى لا يتجاوز عدد سكانها ثلاثة ملايين نسمة بساحل يمتد مئات الاميال، وتجد تلك الحجة تعاطفا وتأييدا كبيرين بين الجماهير الاثيوبية على اختلاف مشاربها قومياتها وحتى بين اولئك المؤيدين بحق اريتريا فى الاستقلال حيث يرى هؤلاء ضرورة ان يكون لاثيوبيا منفذ للملاحة حتى لا تظل تحت رحمة جيرانها، وعلى الجانب الاريترى نجد ان حقبة الاستعمار الاثيوبى- الذى امتد لاكثر الاقاليم

حيرة

ويذكر الباحث محمد عاشور انه فى ضوء الاوضاع الاقتصادية والسياسية المتردية لدول منطقة القرن الافريقى وقف الكثير من المراقبين فى حيرة امام الحرب الاثيوبية- الاريترية على الحدود بينهما، التى نشبت من جراء ادعاء كل طرف اعتداء الطرف الاخر واستيلائه على اراض تابعة لاقليم المدعى، وقد نبعت دهشة المراقبين من واقع الحرب التى جاءت فى ظل تطورات ومستجدات شهدتها ساحة القرن الافريقى، وكانت تشير فى مجملها الى التقارب بين النظامين الحاكمين فى كل من اديس ابابا واسمرة وصل الى درجة الوقوف المشترك ضد النظام السودانى ودعم القوى المعارضة له، رغم اختلاف منطلقات كل طرف واسبابه فى ذلك، باستثناء اعلانهما الخشية من محاولات النظام السودانى فى التسعينيات تصدير الاصولية الاسلامية

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

بالمبادرات المطروحة لتسوية الصراع وانهاء الحرب حيث اقتصر موقف اثيوبيا على تفنيد ادعاءات اريتريا بشأن الاعتداء الاثيوبى والتأكيد على ان الأراضى موضع النزاع اثيوبية الاصل.

الموقف الاثيوبى

اما فيما يتعلق بالموقف الاثيوبى وتطوره فيمكن القول: ان المباغتة الاريترية نجحت فى احداث هزة واضطراب داخل المؤسسة العسكرية الاثيوبية والنظام الحاكم باديس ابابا فى ظل ادراك النظام الاثيوبى للرهان الاريترى على مسألة القوميات، لذا لم يسارع النظام بدفع كافة قواته وتوجيهها الى الجبهة خوفا من انتهاز قوى المعارضة الفرصة لمحاولة التخلص من النظام الحاكم او الانفصال عنه، وفى ظل تلك الحسابات اضطرت اثيوبيا للقبول وقتيا بما فرضته اريتريا على ارض الواقع على الرغم من الصدمة التى اصابت المجتمع الاثيوبى من جراء ذلك، تلك الصدمة التى عبر عنها النظام ذاته باعلان وقف الحرب عبر البرلمان الاثيوبى فى ١٣/٥/١٩٩٨ فى محاولة لامتصاص غضب الشعب الاثيوبى بجعل قرار ايقاف الحرب بيد نوابه فى البرلمان.

وعلى عكس النظام الاريترى امتلكت اثيوبيا قدرات اكبر بكثير على الحشد والتعبئة اضافة على العمق الاستراتيجى لها على خلاف ضعف ذلك العمق لدى اريتريا، ومع اخفاق التوقعات الخاصة بانفراط عقد القوميات الاثيوبية تحت وطأة صدمة الهزيمة المباغتة للقوات الاثيوبية اصبح الزمن فى صالح اثيوبيا التى استطاع نظامها اعادة تنظيم صفوفه ودعم مؤسسته العسكرية وتأمين جبهته الداخلية مستغلا فى ذلك رصيد علاقاته الاقليمية والدولية وامكانياته المادية التى مهما بلغت محدوديتها تظل اكبر بكثير من قدرات اريتريا التى عانت من ضعف القدرة على تحمل تكاليف التعبئة العامة والحرب التى كانت خصما من امكانيات الدولة الفقيرة والمثقلة بمواريث الاستعمار الاثيوبى.

وفى ضوء ما سبق لم يكن من المستغرب ان يتجدد القتال وبضراوة فى ظل اصرار اثيوبيا على اعادة هيبتها ومكانتها التى اهتزت بفعل تطورات الحرب اول الامر، وهو ما يفسر ايضا عدم اكتفاء اثيوبيا باسترداد المناطق التى تدعيها لدى اريتريا وتوغلها داخل الاراضى الاريترية صوب العاصمة اسمرة رغم كافة النداءات والتهديدات الدولية بفرض عقوبات عليها حال عدم امتثالها للشرعية الدولية.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية